المجلة العلمية لكلية الآداب مج 12، ع 5 (2023) 1- 20
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

حِجَاجيّة الأسلوب الخبري المؤكد في الرسائل السياسية للعصر الفاطمي والأيوبي

أمل معروف محمد السيد [1] ،عزة حسين غراب [2] ، رضا العزب يوسف العزب [3]
[1]طالبة دكتوراه، [2] أستاذ مساعد العلوم اللغوية، [3] أستاذ مساعد البلاغة العربية بكلية الآداب– جامعة دمياط.

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز حِجَاجيّة الأسلوب الخبري ولا سيما المؤكد سواء أكان بمؤكد واحد أم بأكثر من مؤكد، إذ كلما وظف المُرسِل أكثر من مؤكد كانت حجاجية التراكيب أقوى, حيث قدرة الأسلوب الخبري المؤكد على التأثير في المُرسَل إليه، وتوجيه سلوكه عن طريق الاستمالة ومن ثم تحقيق الإقناع برأي ما والتسليم بما يعرض عليه والإذعان، وهذا ما يرمي إلى تحقيقه الحِجَاج، ولقد لوحظ استخدام الكُتَّاب للأسلوب الخبري المؤكد في الرسائل السياسية في العصرين الفاطمي والأيوبي؛ ولهذا قام هذا البحث بدراسة الأسلوب الخبري المؤكد، وبيان دوره الحِجَاجي وما يتمتع به من قوة حجاجية عالية، وكان منهج الباحثة في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على استقراء المادة العلمية والتحليل، وجدير بالذكر أن البحث يحتوي على مدخل يتضمن أهداف الدراسة، ومنهج الدراسة، ومادة الدراسة، والدراسات السابقة، فضلًا عن الإشارة إلى الحياة السياسية في العصرين الفاطمي والأيوبي، ثم إبراز دور الأسلوب الخبري في الإقناع، والكشف عن كثرة استخدام أسلوب التأكيد ووسائل التقرير التي تساعد على ترسيخ المعاني وتمكينها في النفوس الشاكة والمنكرة التي تحتاج إلى تأكيد الأفكار المقترحة، ومن ثمّ العمل على تحقيق مقاصد المُرسِل المنشودة، والتأثير في المُرسَل إليه واستمالته لإنجاز فعل معين، وانتهى البحث بالخاتمة التي اشتملت على أهم النتائج التي توصل البحث إليها وأخيرًا قائمة المصادر والمراجع .

الكلمات المفتاحية: الحِجَاج، الأسلوب الخبري، الرسائل السياسية، العصر الفاطمي والأيوبي .

تاريخ المقالة:
تاريخ اســـــتلام المقالـــة: 20 فبراير 2023
تاريخ استلام النسخة النهائية: 19 مارس 2023
تاريخ قبـــول المقالـــــة: 11 ابريل 2023

Scientific Journal of Faculty of Arts 12 (5) 2023, 1 - 20
المجلة العلمية لكلية الآداب
https://artdau.journals.ekb.eg/

Argumentation Through the Affirmed Indicative Style in the Political Messages of the Fatimid and Ayyubid Eras

Amal Maarouf Mohamed Al-Sayed [(1)] Azza Hussein Ghorab[(2)] Reda Al-Azab Youssef Al-Azab. [(3)]

[(1)] Ph student, [(2),] Assistant Professor of Linguistics,[(3)]Assistant Professor of Arabic Rhetoric, Faculty of Arts , Damietta University

Abstract

This study aims to highlight the method of indicative argumentation, especially the affirmed, whether with the use of one or more affirmatives, as the more the sender employs more than one affirmative, the stronger the argumentation of the compositions. The ability of the affirmed indicative method to influence the addressee, guides his/her behavior by grooming and then achieving persuasion of a certain opinion, delivery and submission. The researcher's approach in this research was the descriptive analytical approach. It should be noted that the research contains an introduction that includes the objectives of the study, the curriculum of the study, the study material, and previous studies. The introduction also addresses the political environment of the Fatimid and Ayyubid eras. It, then, highlights the role of the indicative method in persuasion, revealing the frequent use of the affirmation method and the means of reporting that help to consolidate, influence the addressee, and persuade him/her to accomplish a certain act. The conclusion of the research includes the most important findings of the research, and it is followed by the sources and references.

Key words : Argument, affirmative style, political messages,

Article history:
Received 20 February 2023
Received in revised form 19 March 2023
Accepted 11 April 2023

مدخل

الحمد لله الذي هدانا بفضله إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

أما بعد...

فالحِجَاج يعد من أهم النظريات التي تعالجها البلاغة في العصر الحديث، إلا أن له جذورًا وامتدادات، فقد ظهر أولًا في البلاغة اليونانية عند أرسطو، ولكن لم يقتصر على الثقافة اليونانية فحسب، بل وُجِد في التراث العربي أيضًا، وممن استعمل مصطلح الحِجَاج (الجاحظ)، إذ أخذ عن أهل الهند قولهم في تعريف البلاغة بأنها "البصر بالحُجة والمعرفة بمواضع الفُرصة"[1] ويؤكد ابن الأثير الوظيفة الإقناعية للبلاغة بقوله: "مدار البلاغة كلها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم؛ لأنه لا انتفاع بإيراد الألفاظ المليحة الرائقة ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلبة لبلوغ غرض المخاطب بها" [2] .

ثم تطور المصطلح في البلاغة الجديدة عند الباحثَيْن بيرلمان وتيتيكاه، وقد جعلا موضوعه "دراسة تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[3]، ومن ثم فغاية الحِجَاج هي الاقتناع والتسليم بالفكرة المطروحة، ونظرًا لزيادة الارتباط والتلازم بين الإقناع والبلاغة في العصر الحديث عدَّ بيرلمان "الحِجَاج نظرية مطابقة للبلاغة"[4] فالأساليب البلاغية لا يقتصر دورها على البعد الجمالي والتزيين والإمتاع فحسب، و"لكن قد يتم عزلها عن سياقها الجمالي الإنشائي لتؤدي دورًا إقناعيًا استدلاليًا"[5].

ويأتي هذا البحث تحت عنوان: **"حِجَاجيّة الأسلوب الخبري في**

---

(1) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح/ عبد السلام محمد هارون، ج1، صـ 88 .

(2) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، صـ 68 .

(3) الحجاج (أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج- الخطابة الجديدة)، عبد الله صولة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف: حمادي صمود، صـ 299 .

(4) الحجاج في البلاغة المعاصرة(بحث في بلاغة النقد المعاصر)، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، صـ 108 .

(5) الحجاج وتوجيه الخطاب (مفهومه ومجالاته وتطبيقاته في خطب ابن نباته)، باسم خيري خضير، صـ 113 .

الرسائل السياسية في العصر الفاطمي والأيوبي" فقد آثرت الباحثة دراسة النظرية الحِجَاجية، وذلك من خلال التطبيق على فن الرسائل التي تعد من أهم فنون الأدب العربي، حيث تحمل طابعًا تواصليًا، وتحقق الأهداف السياسية والاجتماعية، والواقع أن تلك الفترة (العصر الفاطمي والأيوبي) كانت مليئة بالأحداث السياسية، وبلغت الرسائل فيها منزلة رفيعة.

2. أهداف الدراسة

1- دراسة الأسلوب الخبري المؤكد، وقدرته على التأثير في المتلقي ومن ثم يحقق الإقناع وتوجيه السلوك عن طريق الاستمالة.

2- دراسة موقف الكُتّاب من حروب المسلمين مع الصليبيين من خلال رسائلهم، حيث يتخذ المُرسِل من الكلمة وما تحمله من قوة تأثيرية وسيلة لاستنهاض الهمم وإثارة الحمية؛ وذلك لمواجهة الغزاة وتحرير البلاد المحتلة .

3. منهج الدراسة

تسير الدراسة وفق المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يقوم على استقراء المادة العلمية، والوصف الدقيق لنصوص الدراسة، وتحليلها لبيان بلاغة الرسائل السياسية وحِجَاجيّتها، ومن ثم الكشف عن دور الأسلوب الخبري في الحِجَاج .

4. مادة الدراسة

اعتمدت الدراسة على كتابيّ:

1- الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية(دراسة ونصوص)، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م .

2- وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1982م .

فاعتمدت هذه الدراسة على الرسائل السياسية في فترة الحروب الصليبية والغزو المغولي حيث تدور حول الأحداث السياسية التي جرت إبان تلك الفترة .

5. الدراسات السابقة

بعد اطلاع الباحثة على الدراسات السابقة للموضوع تجدر الإشارة إلى أن النظرية الحِجَاجية درست عدة مرات، أما فن الرسائل للعصر الفاطمي والأيوبي فلم يسبق لأحد من الباحثين - على حد علم الباحثة - أن تناوله حِجَاجيًا ولا سيما الأسلوب الخبري المؤكد، باستثناء دراسة بعنوان: الحجاج ووسائله البلاغية في النثر العربي القديم: رسائل القاضي الفاضل أنموذجًا، أيمن أبو مصطفى، دار النابغة للنشر والتوزيع، طنطا،

2018م .

6. نبذة عن الحياة السياسية في العصرين الفاطمي والأيوبي

استمدت الدولة الفاطمية اللقب[6]من السيدة فاطمة بنت الرسول ﷺ وقد أسس الدولة عبيد الله المهدي في المغرب، إذ تولى السلطة في تونس عام 296م، وبعد ذلك تولى المعز لدين الله الفاطمي الحكم بعد أبيه المنصور عام 341هـ، وفكر في التوجه شرقًا للسيطرة على مصر فأرسل قائده (جوهر الصقلي) ودخل الإسكندرية 358هـ، وفي عام 359هـ خطب للفاطميين على المنابر، وبعد أن استقر الأمر في القاهرة أرسل للخليفة المعز لدين الله يدعوه للحضور ودخلها عام362هـ، وكان أول خليفة فاطمي لمصر، ومن ثم بدأ العهد المصري للدولة الفاطمية بالخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وقد شهدت البلاد مع نهاية العهد الفاطمي بداية الحملات الصليبية، ودخول الصليبيين مصر، وتهديد أهلها حتى اضطر الخليفة العاضد إلى الاستنجاد بنور الدين وجيوشه، ولكن نور الدين وأسد الدين شيركوه لم يكونا ينظران إلى الأمر على أنه مجرد استعانة وإنما وضعا أمام أعينهما هدفًا محددًا هو إنقاذ مصر من الخطر الصليبي الماحق الذي يهددها، وعندما هرب الصليبيون أهمله ولم يلتفت إليه، ثم أرسل له نقودًا إلا أن شيركوه كان يطمع في حكم مصر، فتدخل نور الدين وطلب منه العودة إلى بلاد الشام، ثم رجع إلى مصر إثر تهديد صليبي لها، ولكنه في هذه المرة أقام وخلع شاور وحل محله... وأخيرًا صدر أمر نور الدين الحازم الذي لا رجعة فيه بإلغاء الخلافة الفاطمية وعودة مصر إلى أحضان السُنة[7]، وذلك بعد المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي اتخذته الدولة الفاطمية مذهبًا رسميًا لها.

وقد قامت الدولة الأيوبية بعد زوال الدولة الفاطمية، إذ استطاع صلاح الدين الأيوبي أن يؤسسها وتُنسب إليه، وامتدت لحقبة من الزمن - تقترب من التسعين عامًا- حيث إنه بعد سقوط الدولة الفاطمية أصبح صلاح الدين الآمر الناهي في مصر، وكان هدفه توحيد المسلمين، وجمع صفوفهم وشملهم، فقاد عدة حملات ومعارك ضد الفرنجة في سبيل إعادة الأراضي المحتلة, وأبدى في المعارك تفوقه، لقد حاول صلاح الدين مواصلة ما بدأه عماد الدين، وسار عليه ابنه نور الدين، وبوفاة نور الدين

---

(6) اختلفت المصادر التاريخية حول تحديد نسب الفاطميين، ومعظم المصادر تُرجع نسبهم إلى السيدة فاطمة، وأطلق عليها أيضًا اسم الدولة العبيدية نسبة إلى عبيد الله المهدي أول خليفة فاطمي .

(7) ينظر: الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص ، صـ 48، 49 .

سعى منذ البداية صلاح الدين إلى توحيد بلاد مصر والشام تحت حكمه وذلك "للضغط بالثقل الإسلامي والعربي كله على الصليبيين"[8]، وواجه صعابًا جمة لتحقيق هدفه وهو توحيد بلاد مصر وشقيقتها الشام، فقد ثبّت صلاح الدين أقدامه في حكم مصر والجزيرة والشام .

7. المفهوم الحِجَاجي للأسلوب الخبري

الكلام إما أن يكون خبريًا أو إنشائيًا[9]، والخبري لا يقصد به "الخبر بمفهومه النحوي... وهو قسيم للإنشاء أو الطلب... ولا يقتصر على الجملة الاسمية بل قد يتحقق بالجملة الفعلية"[10].

والأصل أن يكون للأسلوب غرض حقيقي، فغرض الأسلوب الخبري الحقيقي إما فائدة الخبر أو لازم فائدة الخبر, إلا أنه قد يتجاوز ذلك إلى غرض مجازي يفهم من السياق، فيخرج الخبر إلى أغراض بلاغية أخرى، منها: تحريك الهمم، والتحسر والتوجع, والاستعطاف والمدح, والتوبيخ، والتحذير، والتهديد، والأمر، والإنكار[11].

وتتفاوت أحوال توكيد الأسلوب الخبري وفقًا لأوضاع المخاطَب، فإذا كانت الجملة خالية من المؤكدات فـ (الخبر ابتدائي)، ويستعمل للمتلقي الخالي الذهن، ويراد به الإخبار, وإذا زيد فيها مؤكد واحد فـ (الخبر طلبي)، ويأتي مع المتلقي المتردد في تصديق الخبر ويكون لدفع الشك والتردد، أما إذا زيد فيها أكثر من مؤكد فـ (الخبر إنكاري)، ويستعمل عندما يكون المتلقي منكرًا للخبر[12]، ومن هنا يتجلى البعد الحِجَاجي لهذا الأسلوب .

حيث إن "تجريد الكلام من طرائق التوكيد من شأنه أن يفقده طاقته

---

(8) الأدب في العصر الأيوبي، محمد زغلول سلام، صـ 44 .

(9) الخبر: قول يحتمل الصدق والكذب، بينما الإنشاء: قول لا يحتمل الصدق والكذب، وإن الحكم على الخبر بصدقه أو كذبه يكون بمطابقته للواقع، أو عدم مطابقته دون النظر إلى نية القائل أو اعتقاده، وهو المشهور، كما ذكر القزويني، ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة(المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، وضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، صـ 24، 25 .
والأساليب الإنشائية هي "الجمل والأقوال التي لا تصف أي واقع في العالم الخارجي فلا يمكن أن يقال عنها صادقة (مطابقة لواقع ما) أو كاذبة (غير مطابقة له) ولكن مجرد النطق بها يشكل في حد ذاته فعلًا معينًا". الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، صـ 54

(10) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، حسن طبل، صـ 43 .

(11) ينظر: البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس حسن، صـ 106- 110 .

(12) ينظر: مفتاح العلوم، أبو يعقوب السكاكي، تح/ نعيم زرزور، صـ 170- 171 .

الحجاجية، ويرده إلى طبيعته الإخبارية الوصفية"[13]، وهذا يدل على أهمية أساليب التوكيد في إقناع المخاطَب، ويرى الدكتور حسن طبل أن "ارتباط ظاهرة التوكيد بالمخاطَب هو ارتباط آني غير مطرد؛ إذ هو رهن بمواقف أو مقامات خاصة؛ وهي مقامات المحاورة والجدل واللجاجة تلك التي يكون إقناع المخاطَب فيها، أو إفحامه هدفًا أساسيًا في الكلام"[14]، إذ إن توظيف أداة التوكيد يفيد توثيق الخبر سواء أكان في الخبر تردد أم إنكار أم لم يكن، فقد يخرج الكلام عن مقتضى الظاهر وذلك لغاية ينشدها المتكلم.

وتجدر الإشارة إلى أن البحث يتناول الأسلوب الخبري المؤكد؛ وذلك لأن الخبر المؤكد له أبعاد حجاجية أكثر فاعلية، بالإضافة إلى كثرة توظيف أساليب التوكيد في الرسائل مدونة الدراسة، وهو أحد الأساليب التي تؤدي دورًا حجاجيًا بارزًا في الكلام؛ إذ إن الأسلوب الخبري المؤكد يقوي الحكم في ذهن المتلقي، حيث يعتمد المُرسِل على أدوات التوكيد؛ وذلك ليثبت معانيه في النفوس الشاكة والمنكرة؛ لأن كلًا منهما يحتاج إلى توكيد، وهكذا يأتي التأكيد لتقوية المعاني والإقرار بها، فضلًا عن حمل المُرسَل إليه على الاقتناع بها والإذعان والتسليم بالقضية المطروحة ومن أبرز صيغ التأكيد بـ (إنّ، وأنّ، وقد، ولقد، والجملة الاسمية، والقسم، وأسلوب القصر).

حِجَاجيّة الأسلوب الخبري في الرسائل السياسية محل الدراسة

أرسل المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم زعيم القرامطة، وقد أدرك خطرهم، يقول: **"وايم الله، لقد كان الأعلى لجدك والأرفع لقدرك والأفضل لمجدك والأوسع لرفدك، والأنصر لعودك والأحسن لعذرك، الكشف عن أحوال سلفك وإن خفت عليك، والقفو لآثارهم وإن عميت لديك، لتجري على سفنهم وتدخل في زمرهم, وتسلك في مذهبهم، آخذا بأمورهم في وقتهم وزمرهم في عصرهم، فتكون خلفًا قفا سلفًا بجد وعزم مؤتلف وأمر غير مختلف, لكن غلب الران على قلبك، والصدى على لبك فأزالك عن الهدى، وأزاغك عن البصيرة"**[15].

أراد المعز أن يوبخ الحسن الأعصم ويعنفه؛ لأنه لم يسر على هدي أسلافه ومنهجهم، فبدأ المعز رسالته بأسلوب القسم كوسيلة حِجَاجيّة لتأكيد

---

(13) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، صـ 284 .

(14) علم المعاني في الموروث البلاغي (تأصيل وتقييم)، حسن طبل، صـ 61 .

(15) الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص، صـ 115 .

فكرته، حيث إن القسم يثبت الفكرة في ذهن المتلقي، فهو "من أساليب التأكيد التي يتخللها البرهان المفحم، والاستدراج بالخصم إلى الاعتراف بما يجحد"[16]، وكذلك مؤكدًا حجته باستخدام أداة التوكيد(لقد)؛ ليؤثر في الحسن الأعصم، ويقنعه أن يعود إلى رشده، ويسير على نهج أجداده ومن ثم ينضم إلى الفاطميين ويناصرهم، حيث كلما تضاعف الإنكار تضاعف التوكيد .

فضلًا عن ذلك استند المُرسِل -المعز- إلى صيغة أفعل (الأعلى، الأرفع، الأفضل، الأوسع الأنصر، الأحسن) لدفع المُرسَل إليه -الحسن الأعصم- إلى الصواب، وتوجيهه ومحاولة تغيير سلوكه، إذ تكون الموازنة بين الأدنى الذي هو عليه، والأعلى الذي يجب أن يسير عليه فاحتج بأفعل التفضيل على ما ينبغي في الإعراض عما لا ينبغي.

ومدعمًا المُرسِل فكرته أيضًا بتكرار كاف الخطاب (لجدك، لقدرك، لمجدك، لرفدك لعودك، لعذرك، سلفك عليك، لديك، قلبك، لبك، أزالك، أزاغك) مما يفيد تخصيص الخطاب بالحسن الأعصم واستحضاره.

ويلاحظ توظيف المُرسِل لـ الرابط الحجاجي[17] وهو (لام التعليل) في قوله: (لتجري) حيث يسبقها الحجة ويليها النتيجة، فقد قدم له الحجج ثم جاء بالنتيجة المترتبة، فكان على الحسن الأعصم الكشف عن أحوال سلفه، وتتبع آثارهم؛ ليسير على هديهم ويسلك مسلكهم بالإضافة إلى استخدام رابط حجاجي آخر وهو(لكن) في قوله: (لكن غلب الران على قلبك) فالجملة الأولى التي تسبق الرابط تتضمن حجة تخدم نتيجة ضمنية من قبيل (لو قفا آثار أجداده لاهتدى) إذن لم يهتد لعدم السير على هدي أجداده، ومن ثم (غلب الران على قلبه فضل) ونلحظ توظيف اقتباس غير مباشر ليحتج على فكرته، حيث يستمد بعضًا من ألفاظ القرآن الكريم في قوله: (غلب الران على قلبك) وذلك من قوله تعالي: **{كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}**[18]؛ وذلك لتأكيد الفكرة المطروحة .

---

(16) التعبير الفني في القرآن، حسن طبل، صـ 235 .

(17) الروابط والعوامل من الظواهر اللغوية الحجاجية التي اهتم بها ديكرو وأنسكومبر، وهما: "المؤشر الأساسي والبارز والدليل القاطع على أن الحجاج مؤشر له بنية اللغة نفسها" . اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، صـ 55 .
إن الروابط الحجاجية هي "العلاقة التي تصل شيئين بعضهما ببعض، وتعين كون اللاحق منهما متعلقًا بسابقه". معجم المصطلحات النحوية والصرفية، صـ90، وقد ميز العلماء بين أنماط عديدة من الروابط، ومنها: المدرجة للحجج، والمدرجة للنتائج، والتعارض الحجاجي، والتساوق الحجاجي" . ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، صـ 30 .

(18) سورة المطففين، آية 14.

وفي رسالة لؤلؤ حاكم حلب إلى منجوتكين قائد العزيز، يقول: **"إن عصمة الإسلام الجامعة بيني وبينك وبين عساكرك تبعثني على إنذاركم، وهذا عسكر الروم قد أظلكم في الجمع الكثير فخذوا لأنفسكم، وتيقظوا لأمركم، ولا تهملوا حذركم"**[19] .

يؤكد لؤلؤ أن حرمة الإسلام التي تجمع بينه وبين الفاطميين (المقدمة)، تدفعه لإنذار الفاطميين من خطر الروم (النتيجة)، وأكد ذلك عن طريق (إنَّ) الداخلة على الجملة الاسمية لإفادة التقرير، وجعل الفكرة أكثر إقناعًا في ذهن المتلقي، فهي "تنسب للجملة التي بعدها حكمًا بالإثبات والتوكيد أو حكما بالنفي"[20]، وقوله: (هذا عسكر الروم) يدل على القرب، و(قد أظلكم) يفيد التحقيق، إذ أفادت (قد) التحقيق لأمر وقع لإقناع المتلقي به .

وتوحي لفظة(أظلكم)بالشمول والعموم، حيث كثرة جيش الروم؛ لكي يحرك مشاعر المُرسَل إليه، ومن ثم عليه التزام الحذر، ويكون على أهبة الاستعداد لمحافل جيش الروم، فالحذر يفضي إلى الأمن(النتيجة الكبرى) فاستعمل التحذير بذكر لفظتي(إنذاركم، وحذركم) وهو توجيه، فإن لم يأخذ قائد العزيز أهبة الحذر، تكن العاقبة والجزاء، فأمره بأخذ الحذر واليقظة، ونهاه عن الإهمال والغفلة، ووردت الفاء للسرعة(فخذوا لأنفسكم، وتيقظوا لأمركم)، والخطاب يحمل تهديدًا للخليفة الفاطمي؛ لكي يتراجع عن الدخول في حرب مع ملك الروم .

وفي معرض رسالة منير قائد جيش العزيز إلى بكجور والي دمشق، يقول له: **"إنا لم نجيء لقتالك وإنما جئنا لنخرج ابن الجراح من العمل لأنه أفسد وعصى فتكون معينًا لنا في هذا الأمر لنسير إلى حلب وأنطاكية"**[21].

---

(19) الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص، صـ 121 .
"استقل لؤلؤ في حكم حلب، وأبعد الفاطميين عنها، فأرسل العزيز جيشًا قويًا بقيادة منجوتكين لاسترجاعها، وبالمقابل أرسل لؤلؤ إلى ملك الروم يستنجده، فحضر ملك الروم بنفسه في جيش ضخم، وخاف لؤلؤ أن يقضي ملك الروم على الجيش الفاطمي"

(20) الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، خالد إسماعيل، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية، مج 5، ع 1، 2015 صـ 167 .

(21) الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص، صـ 121 . "احتل بكجور لدمشق وتعاون مع ابن الجراح أحد عمال العزيز ضد الفاطميين، فأرسل العزيز جيشًا لاسترجاع دمشق وعليه قائده منير" .

أراد منير - قائد العزيز- أن يجعل بكجور ينضم إلى صفوف الفاطميين، وأن يكون مساعدًا له في إخراج ابن الجراح من عمله، فكانت وسيلته لذلك أن أتى بمؤكدين فاعتمد على (إنّ، وأسلوب القصر بطريقة إنما)، ولا يخفى أن أسلوب القصر أكسب الخطاب قوة حجاجية تسهم في إقناع المتلقي، فضلًا عن إفادة التخصيص والتوكيد، وعليه قدم منير لبكجور ما يبرهن على سبب مجيئه إلى دمشق(إنما جئنا لنخرج ابن الجراح من العمل)، ولجأ إلى الرابط الحِجَاجي(لأن) فهو من ألفاظ التعليل، ومن الروابط المدرجة للحجج (لأنه أفسد وعصى)، فجاء الرابط لأجل تبرير الفكرة المعروضة.

وفي رسالة طغتكين حاكم دمشق إلى الملك الأفضل **"إن بلدوين قد جمع وحشد للنزول على صور، وإنَّ أهلها استنجدوا بي عليه، والتمسوا مني دفعه عنهم فبادرت بإنهاض من أثق بشهامته لحمايتها، والمراماة دونها إليه، وحصلوا فيها، ومتى وصل إليها من مصر، من يتولى أمرها، ويذب عنها ويحميها، بادرت بتسليمها إليه وخروج نوابي منها"**[22].

بدأ طغتكين رسالته بأسلوب التوكيد بـ(إنَّ) وألحق بها(قد) كحجة تبريرية، حيث إن بلدوين ملك الفرنج استعد وحشد للنزول على مدينة صور، مما أدى إلى استنجاد أهلها بطغتكين، وكرر التأكيد بـ إنَّ (إن أهلها استنجدوا بي عليه).

بالإضافة إلي أنه اتكأ على ضمير المتكلم المفرد (استنجدوا بي، والتمسوا مني)، حيث أراد بهذا الاستعمال للضمير أن يساعد على تخصيص الأحداث له، وقوله: (فبادرت) الفاء تؤدي وظيفة حجاجية ناجعة، إذ ربطت بين النتيجة التي جاءت بعدها والحجج التي سبقتها، فهي ربطت بين الحجة وهي استنجاد أهل مدينة صور بحاكم دمشق عندما حاصرها الفرنج والنتيجة وهي المبادرة لنجدتهم وتخليصهم من الفرنج.

كما لجأ المتكلم إلى الجملة الشرطية (متى وصل إليها من مصر من يتولى أمرها... بادرت بتسليمها إليه) فتكون بمثابة الحجة التي تساعد على إقناع المتلقي؛ حيث يعد الشرط وسيلة مهمة في الحِجَاج؛ لأنه "متى جاءت أركانه في أعطاف القصيدة أو القطعة، كانت بمثابة الدعائم

---

[22] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي ، صـ 103 .
"حاصر الفرنج مدينة صور، فأنجدها طغتكين وخلصها منهم، ثم رحل عنها، وخاف أهل صور من عودة الفرنج لها فطلبوا من ظغتكين حمايتهم، فأجابهم إلى ذلك، وأرسل عساكره إليها ولكنه خاف أن يؤدي ذلك إلى غضب الملك الأفضل لأن صور من أملاك مصر"

والركائز التي تعجل بتبليغ المعاني وإيصالها إلى المتلقي وتقويتها أيضًا، فهي تغنيه عن الشك وراء دقائق المعاني ولطائفها، كما يساعد تركيب الشرط على تقييد المعنى بفضل طبيعة العلاقة التلازمية بين جزأيه؛ مما يقوي المعنى"[23]، وهكذا يتجلى الغرض الحجاجي هنا وهو حسن نية المُرسِل -طغتكين- وعدم طمعه، وأن محاصرته لمدينة صور ليست لاحتلالها وإنما للدفاع عنها ضد العدو.

وبعد رحيل شيركوه عن مصر هاجمها الفرنج، فأرسل شاور إلى مري ملك بيت المقدس الفرنجي، يقول: **"إن هذا بلد عظيم كبير وفيه خلق كثير، ولا يمكن تسليمه ألبتة ولا أخذه إلا بعد أن يقتل من الفريقين عالم عظيم، ولا تعلم أنت ولا أنا لمن الدائرة, والرأي أن تحقن دماء أصحابك، ودماء أصحابي، وتحصل شيئًا أدفعه لك، فيحصل لك عفوًا"** [24].

حيث ذكر شاور مبررات تفيد عدم دخول ملك بيت المقدس الفرنجي في مواجهة مع الجيش الإسلامي؛ وذلك لحقن الدماء، معتمدًا على مؤكدين (إنَّ، والنفي والاستثناء) ليصل إلى نتيجة مفادها تراجع ملك المقدس عن الهجوم على مصر مخوفًا ومحذرًا إياه من سوء العاقبة فمصر بلد فتحها صعب، والانتصار عليها مستبعد لعدم استسلام أهلها، وفي استخدام النفي والاستثناء، مع تكرار النفي في قوله: (لا يمكن تسليمه ألبتة ولا أخذه إلا بعد أن يقتل من الفريقين عالم عظيم)؛ يكون القول الأول مفاده النفي، والقول الثاني مفاده الإثبات للحقيقة وهي القتل والقضاء على عدد كبير من الفريقين، فالمتكلم استند إلى النفي والاستثناء ليقنع المتلقي بما يريده، إذ إن أسلوب النفي في الخطاب الحِجَاجي يفيد "إنكار يتعقب قولًا سبق ادعاؤه أو إثباته فهو دائمًا فعل ارتجاعي أوثق بالرد، وهذه الآلية تتدخل لكشف التوهم والمغالطة ومنازعة الخصم أطروحته" [25].

ومن عهد الخليفة المستضيء بنور الله إلى صلاح الدين، وتوليته مصر واليمن وما يفتحه من بلاد، يقول: **"يستنير بضوء العدل منهم المطالع، ويحترم أكابرهم، ويحنو على أصاغرهم ويشملهم بكنفه ودرعه، وينتهي في مصالحهم إلى غاية وسعة، ولا يألوهم في النصح جهدًا ولا يخلف لهم في الخير وعدًا، ويشاورهم في أمره، فإن المشورة داعية إلى الفلاح، ومفتاح باب الصلاح، قال الله تعالى: {فاعف عنهم**

---

[23] الخطاب الحجاجي في معلقة عنترة بن شداد، كمال فواز سليمان، صـ 340 .
[24] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 110 .
[25] بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، صـ 227 .

واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين}"[26].

وردت في هذا النص ثماني جمل فعلية مضارعة متتالية، تفيد الديمومة والاستمرارية في الفعل, وهذا الاستعمال المكثف للأفعال يعطي الكلام قوة من خلال أفعال التوجيه والإنجاز، وتكون الغاية منها حمل المُرسَل إليه على الالتزام بما ورد في النص، حيث عدد الخليفة العباسي لصلاح الدين الوصايا والنصائح التي يجب الالتزام بها، ويؤكد أهمية المشورة التي تؤدي إلى الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة، موظفًا أداة التأكيد(إنَّ)، فعند استخدام المتكلم لأدوات التوكيد يكون قصده ليس إخباريًا فحسب وإنما لتأكيد القول وإقناع المتلقي بأمر ما، وقد ربط النتيجة بالحجج، مقدما النتيجة (ويشاورهم في أمره، فإن المشورة داعية إلى الفلاح، ومفتاح باب الصلاح) مما يكون ذلك أقوى أثرًا وإقناعًا، وفضلًا عن ذلك جاء بدليل من القرآن الكريم ليقوي فكرته، وكلها وسائل تأكيدية حجاجية تقطع الشك وتحمل على الإقناع .

ومن رسالة صلاح الدين إلى السلطان الموحدي بالمغرب **"إن أمر العدو قد تطاول, وخطبه قد تمادى، ونجدته تتواصل، ومنها ملك الألمان في جموع جماهيرها مجمهرة وأموال قناطيرها مقنطرة، وإن عساكرنا لو أدركته لما استدرك ولولا سبقه لها بالدخول إلى أنطاكية لتلف وهلك، وتذكر أن الله قصم طاغية الألمان وأخذه أخذة فرعونية بالإغراق في نهر الدنيا الذي هو طريقه إلى الإحراق في نار الآخرة، وإن هذا العدو لو أرسل الله عليه أسطولًا قويًا مستعدًا يقطع بحره ويمنع ملكه، لأخذنا العدو إما بالجوع أو الحصر أو برز فأخذناه بيد الله تعالى التي بها النصر، فإن كانت الأساطيل بالجانب المغربي ميسرة والعدة منها متوفرة والرجال في اللقاء فارهة، وللقاء غير كارهة، فالبدار البدار"**[27].

إذن سعى صلاح الدين لاستنهاض همة السلطان الموحدي لإرسال الامدادات؛ لمحاربة الفرنج الذين تجمعوا حول عكا، فقدم المُرسِل مؤكدات عدة يدعم بها حجته، والمتمثلة في (إنَّ وقد التي دخلت على الفعل الماضي وكررها مرتين "قد تطاول، قد تمادى"، وأنَّ) مما يؤكد

---

[26] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 268 . (سورة آل عمران، من الآية 159) .

[27] الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص ، صـ 352 .

"يستنجد صلاح الدين بالخليفة الموحدي من أجل حرب الفرنج الذين أغاروا على بلاد الشام، وبأعداد غفيرة، وذلك بعد استرجاع بيت المقدس، ولقد عجز صلاح الدين عن مقاومتهم" الوثائق، صـ 340.

فكرته، إذ يدلل للسلطان على عظم خطر العدو (تطاول، تمادى، تواصل) إلا أن الله مع المسلمين، بالرغم من كثرة العدو، فالله يمكن المسلمين من الأعداء، ومما يزيد في تقوية الفكرة وإبرازها توظيف قصة إغراق فرعون (أن الله قصم طاغية الألمان وأخذه أخذه فرعونية بالإغراق في نهر الدنيا)، فبسط الحجج الواحدة تلو الأخرى .

كما جاء الأسلوب مؤكدًا بالتكرار، والمتمثل في تكرار لفظ الجلالة (الله) ثلاث مرات؛ فالله -عز وجل- وعد بنصر المسلمين، فهم يحاربون أعداء الله، وهم على حق، والعدو على باطل وكذلك تكرار لفظة(العدو) ثلاث مرات؛ ليثير الحماس والحمية الإسلامية ضد أعداء الإسلام فضلًا عن تكرار لفظة (الأسطول) مرتين مما يوحي برغبة ملحة في إقناع الخليفة الموحدي بأهمية توفر الأسطول، فالتكرار لم يأت عبثًا، وإنما للتأكيد وزيادة التأثير في المُرسَل إليه والعمل على إقناعه، وفي قوله: (البدار البدار) أسلوب إغراء، وتحفيز بسرعة الاستجابة والمبادرة، وذلك لتقوية الجيش الإسلامي، ومن ثم يستطيع صلاح الدين أن ينتصر على الفرنج ويتخلص منهم، وهذا هو الهدف المنشود من الرسالة.

وفي رسالة الملك المظفر ملك حماة إلى صلاح الدين حول حصن بيت الأحزان **"إن هذا الرأي الذي قد أزمعت عليه ليس بشيء، وإن الله تعالى يسألك عن إعطائهم هذا المال، وأنك قادر على المسير إليهم، والرأي أن تصرف هذا المال إلى الأجناد، وترغبهم في الجهاد وتسير بعساكرك، وتنزل عليه، والله تعالى في معونتك ونصرتك"**[28].

استخدم المُرسِل من أدوات التوكيد(إنَّ مرتين، وقد، وأنَّ)لزيادة القوة الحجاجية، وقصد الإقناع بالغرض المقصود، إذ إن صاحب الخطاب يحث صلاح الدين على الجهاد، ومواجهة الأعداء، فهو أفضل من دفع المال لهم، فالمواجهة هي الحل الأمثل لذلك، حيث يقول: (إن الرأي الذي قد أزمعت عليه ليس بشيء)، فالنتيجة مفادها التروي وإعادة نظر فيما ذهب إليه فما كان ينبغي لصلاح الدين أن يعطي لهم المال، مدعمًا الملك المظفر رأيه بالمبررات؛ وهي: (إن الله تعالى يسألك عن إعطائهم هذا المال، وأنك قادر على المسير إليهم)، وختم النص بالدعاء (الله تعالى في معونتك ونصرتك) وذلك إذا نهض بالمسير إلى حصن بيت الأحزان وجاهد من أجل خروج الفرنج منه، فالله ينصره، ومن ثم أراد توجيه سلوكه .

ومن رسالة صلاح الدين إلى أخيه سيف الإسلام ملك اليمن، يستمد منه المساعدة ضد الصليبيين الذين تجمعوا حول عكا **"البدار إلى النجدة**

[28] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 122، 123 .

البدار، والمسارعة إلى الجنة فإنها لا تنال إلا بإيقاد نار الحرب على أهل النار، الهمة الهمة، فإن البحار لا تلقى إلا بالبحار, والملوك الكبار لا يقف في وجوهها إلا الملوك الكبار، وما هي إلا نهضة تورث العلا" [29].

استعان صلاح الدين بالتوكيد، فبرهن على فكرته بمؤكدين (إنَّ، وأسلوب القصر بطريقة النفي والاستثناء) لأنه يريد تأكيد الحجة التي قدمها وتثبيتها، وأسلوب القصر ضرب من التوكيد؛ لذا يقول ابن عاشور: "وما القصر إلا توكيد مضاعف"[30]، وكذلك اعتمد على أسلوب الإغراء (البدار البدار، الهمة الهمة) الذي يحرك القلوب، ويستنهض الهمم ويثيرها، حيث إن "الإغراء توجيه المُرسَل إليه إلى أمر محبوب ليفعله، فهو توجيه للتقريب وليس للإبعاد[31]، وقد عين لملك اليمن جزاء مواجهة الأعداء وهو الجنة(المسارعة إلى الجنة فإنها لا تنال إلا بإيقاد نار الحرب على أهل النار)، وكلها وسائل تحفز المتلقي لإرسال الإمدادات لمواجهة الصليبيين.

وفي رسالة أهل عكا إلى صلاح الدين لما ضاق بهم الحصار **"إنا بلغ منا العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونحن في الغد -إن لم تعملوا معنا شيئًا - نطلب الأمان ونسلم البلد ونشتري مجرد رقابنا"**[32].

لجأ المُرسِل إلى استعمال أكثر من مؤكد، فجاءت الرسالة بثلاثة مؤكدات (إنَّ، وتقديم الجار والمجرور-بلغ منا العجز-، والنفي والاستثناء) وذلك لأجل توجيه صلاح الدين إلى اتخاذ موقف، ولا سيما الوصول إلى نتيجة واحدة وهي وجوب محاربة الفرنج والتصدي لهم بكل الوسائل الممكنة، حيث يظهر العجز والضيق والتعب الذي يعاني منه أهل عكا .

وهنا نجد أن الحصر بالنفي والاستثناء قد زاد من فعالية الإقناع، وأضفى بعدًا حجاجيًا إقناعيًا، وكذلك وظف أسلوب الشرط الحِجَاجي (إن لم تعملوا معنا شيئًا نطلب الأمان ونسلم البلد ونشتري رقابنا) وذلك لما للشرط من أهمية ناجعة في

---

[29] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 180 .

[30] تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج15، صـ 323 .

[31] ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، صـ 358 .

[32] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 219 .

الخطاب الحِجَاجي؛ فإذا أذعن المتلقي بالمقدمات يقبل النتيجة، فضلًا عن ذلك فإن "ذكر العواقب من الآليات المباشرة والصريحة التي يستخدمها المتكلم لتوجيه المتلقي للقيام بفعل ما"[33]، ففي الرسالة إشارة صريحة إلى أنه إن لم يفعل صلاح الدين شيئًا فإن أهل عكا سيطلبون الأمان من الفرنج، ويسلمون البلد لهم؛ ومن ثم تلزم سرعة النجدة.

وفي رسالة أخرى من أهل عكا إلى صلاح الدين **"إنا قد تبايعنا على الموت، ونحن لا نزال نقاتل حتى نقتل، ولا نسلم هذا البلد ونحن أحياء، فأبصروا كيف تصنعون في شغل العدو عنا ودفعه عن قتالنا، فهذه عزائمنا، وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو أو تلينوا له فأما نحن فقد فات أمرنا"**[34] .

يؤكد المُرسِل كلامه بأداة التوكيد(إنّ) المقترنة بحرف التحقيق (قد)، إذ إن التوكيد يضيف قوة حجاجية تقنع المتلقي بالقول، فاستخدم جمهور أهل عكا(إنَّ) حتى يؤكد الفكرة ويرسخها، فهي حرف "لتوكيد النسبة، ونفي الشك عنها والإنكار لها"[35]، لذا جاءت الحجة قوية، وفي استخدام الفعل (نزال) المسبوق بـ (لا) ما يدل على الاستمرار والدوام، في قوله: (ونحن لا نزال نقاتل حتى نقتل)، حيث لديهم العزيمة القوية وعدم الاستسلام أمام العدو؛ مما يعكس الأمل والطمأنينة لدى المتلقي، وجاء المُرسِل بـ(إياكم أن تخضعوا) فصياغتها "تحقق فعلًا إنجازيًا غايته نفعية إذ يدخل في باب النصيحة وطلب ترك المحذور[36]، وبالتالي فالغرض الحجاجي هنا يفيد تأني صلاح الدين والتروي في اتخاذ اللازم ضد الفرنج، وعدم اللين والخضوع للعدو .

ومن رسالة الملك الظاهر غازي -ابن صلاح الدين- إلى ابن

---

[33] ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، صـ 361 .

[34] وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي، صـ 219.

[35] في علم النحو دراسة ومحاورة، أحمد ماهر البقري، صـ 85 .

[36] ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، صـ 355- 357 .

عمه الملك المنصور صاحب حماة **"إنك تعلم محبتي لك، وشفقتي عليك، واعتمادي عليك، وتعلم سوء باطن الملك العادل لنا وأن مقصوده أن تكون البلاد كلها له، ولو قدر علينا ما أبقي منا أحدًا وقد علمت ما فعله بأولاد أخيه السلطان الملك الناصر مع أنه هو الذي ملكه وأظهره إلى الوجود بعدما كان لا يؤبه له, وكيف تثق وقد أخذ منك منبج وقلعة نجم وأعطاهما لابن المقدم واختاره عليك؟!"**[37] .

أعطى الملك الظاهر غازي مبررات وحُجَج لابن عمه لكي يتحد معه ضد الملك العادل معتمدًا على أكثر من مؤكد (إنَّ، وأنَّ مرتين، وقد الداخلة على الفعل الماضي مرتين)، حيث استعمل المُرسِل التوكيد لتقديم حجته، وإثبات المعنى في ذهن المُرسَل إليه، ويصبح لا مجال للشك فيه بعد ذلك، ووظف الرابط الحِجَاجي (الواو) التي تعمل على عطف الحجج وترتيبها وتنسيقها، فضلًا عن تقوية المعنى وتأكيده .

ومن المؤكدات أيضًا تكرار ضمير المخاطَب (إنك، ولك، وعليك) لاستحضار صورته ولكي يستميله، فاستخدام الخطاب التوجيهي ليجعل المتلقي حاضرًا في الخطاب، وكذلك تكرار الفعل (علم) يحقق طاقة إنجازية ناجعة (إنك تعلم، وتعلم، وقد علمت)مما يساعد على حمل المُرسَل إليه على التسليم والإذعان بما يعرض عليه، ونفي الإنكار لكي يقنعه بفحوى الخطاب ثم جاء بالاستفهام في قوله: (وكيف تثق وقد أخذ منك منبج وقلعة نجم) ليفيد التعجب والتحذير من عمه العادل، وقوله: (ولو قدر علينا ما أبقى منا أحدًا)، إذن عليك أن تتحد معنا ونتعاون وتنصرني، فالملك الظاهر يحرض ابن عمه ويطلب منه النجدة بعد أن أبرز له مكانته لديه, فهو يوجهه للصواب ومن ثم عليه الاستجابة له في محاربة الملك العادل .

وفي رسالة جوابية من نائب الملك العادل إلى الملك العادل، وكان العادل أرسل له رسالة يخبره عن فتحه مدينة خلاط، فأجاب نائبه قائلًا:

---

(37) الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص ، صـ 391 .

"عكا أقرب من خلاط، وأنفع للمسلمين فتحًا وأعظم في الكفار قدحًا؛ فوالله لئن انغلق باب الشام في وجه الكفر لتنقطعن آمال أهل البحر والبر، وما دام في الشام بقية من الكفر فهو يقبل الزيادة، وينتظر النجدة ويؤمل الاستعادة"[38].

إن الرابط الحِجَاجي(الواو) قام بالوصل بين الحجج وترتيبها؛ لتقوية النتيجة المطروحة "فالواو من حروف العطف التي تستخدم حجاجيًا؛ وذلك بترتيبه الحجج، ووصل بعضها ببعض, بل وتقوي كل حجة منها الأخرى[39]، فوصل المُرسِل بين الحجج التالية بالرابط (الواو) ومعتمدًا على أفعل التفضيل في قوله: (عكا أقرب من خلاط، وأنفع للمسلمين فتحًا وأعظم في الكفار قدحًا)، ليبرهن على مكانة مدينة عكا وضرورة تخليصها من الفرنج .

واستند المُرسِل إلى أسلوب القسم ليؤكد فكرته، ولإقناع المُرسَل إليه بما يريده، فتراه يقسم بلفظ الجلالة(الله) مستخدمًا معه حرف الواو؛ مؤكدًا بهذا القسم أمر القضاء على الفرنج، وفتح عكا، وتخليص بلاد الشام من الفرنج، فلجأ إلى القسم لإثبات الصواب ونفي الشك، وبتعبير الدكتور بكري شيخ أمين "القسم أفضل المؤكدات"[40]، كما وظف أسلوب الشرط الحِجَاجي (لئن انغلق...) ليوضح النتيجة الحتمية التي ينبغي الوصول إليها، وجاء جواب الشرط (لتنقطعن) مؤكدًا باللام والنون الثقيلة، ومن البيّن تعلق فعل الشرط بجوابه، فجملة الشرط سبب في جملة الجواب، يقول ابن جني: "حقيقة الشرط وجوابه أن يكون الثاني مسببًا عن الأول" [41] فالشرط حجة ومقدمة تقتضي نتيجة وهي جواب الشرط، وكذلك استخدم المُرسِل الفعل (دام) المسبوق بـ (ما) الدالة على الاستمرار والدوام، وعليه فالغرض الحِجَاجي هو ضرورة تطهير بلاد الشام من الفرنج، وسرعة النجدة، فبلاد الشام بها بقية قابلة للزيادة، ومن ثم يلزم التخلص التام من العدو، ويتجلى ذلك من قوله: (ما دام في الشام بقية من الكفر فهو يقبل الزيادة، وينتظر النجدة ويؤمل الاستعادة) .

وفي رسالة جوابية من الملك الكامل إلى الملك الأشرف حول بيت المقدس **"إني ما جئت إلى هذه البلاد إلا بسبب الفرنج، فإنهم لم يكن في البلاد من يمنعهم عما يريدونه, وقد عمروا صيدا وبعض قيسارية ولم**

---

(38) الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص ، صـ 398 .

(39) ينظر: إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، صـ 472 .

(40) التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، صـ 244 .

(41) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح/ محمد علي النجار، ج3، صـ 175 .

يمنعوا، وأنت تعلم أن عمنا السلطان صلاح الدين فتح البيت المقدس، فصار لنا بذلك الذكر الجميل على تقضي الأعمار وممر الأيام، فإن أخذه الفرنج حصل لنا من سوء الذكر، وقبح الأحدوثة، ما يناقض ذلك الذكر الجميل الذي ادخره عمنا" [42].

يفصح الملك الكامل عن السبب الرئيس لمجيئه إلى بيت المقدس، مستخدمًا مؤكدات ليؤكد قضيته، وهي: (إنَّ مرتين، والنفي والاستثناء، وقد، وأنَّ) ليزيد من قوة التعبير، ويضاعف في قوة الحكم، حيث "يحسن تأكيد الكلام إذا كان للمخاطَب ظن في خلاف الحكم ومترددًا، وإن كان منكرًا وجب توكيده [43]، ومن ثم ينبغي عدم التهاون والجهاد ومحاربة الفرنج، فقد أراد الملك الكامل دفع التهمة عنه وتبرئته، والجملة المؤكدة بـ (إنَّ) "غالبًا ما تستعمل هذه البنية لتصحيح أمر سبق ذكره"[44]، بالإضافة إلى أنه جمع بين المتناقضين(سوء الذكر، والذكر الجميل) ليؤكد المعنى ويوضحه، فيلزم المحافظة على الذكر الجميل، وعدم التخاذل أمام الفرنج بل دفع ضررهم ومواجهتهم .

الخاتمة

عالجت الدراسة قضية الحِجَاج في الرسائل السياسة في العصرين الفاطمي والأيوبي، وتجلى أن المُرسِل يستخدم أدوات التوكيد لزيادة تأكيد الحكم، مما يساعد على إقناع المُرسَل إليه وإذعانه، حيث ورد استخدامه في الرسائل السياسية محل الدراسة بكثرة، ومن ثم فالتوكيد "تمكين الشيء في النفس وتقويته لإزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدد الإخبار عنه، والمراد تأكيد الحكم لا تأكيد المسند إليه ولا تأكيد المسند" [45]، إذ يدعم المُرسِل خطابه بالأسلوب الخبري ولا سيما المؤكد ليقوي فكرته ويرسخها في ذهن المُرسَل إليه .

---

[42] الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية دراسة ونصوص ، صـ 407 .

"تقدم الملك الكامل -ابن الملك العادل- باتجاه القدس، فظن صاحب القدس -ابن الملك المعظم- أن الكامل يقصده، فأرسل إلى عمه الملك الأشرف يستنجده، فحضر الأشرف بنفسه عنده، ثم خاف الأشرف أن يقصده الكامل، فأرسل يقول أنه ما أتى دمشق إلا طاعة له" .

[43] ينظر: مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، صـ 34 .

[44] البنية الحجاجية في القرآن الكريم (سورة النمل نموذجًا)، الحواس مسعودي، صـ 338 .

[45] علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، صـ 52 .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

أولًا/ المصادر:

1- وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي (دراسة ونصوص)، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1982م

2- الوثائق السياسية والإدارية للعهود الفاطمية والأتابكية والأيوبية (دراسة ونصوص)، محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985م .

ثانيًا/ المراجع:

(1) الأدب في العصر الأيوبي، محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1990م .

(2) إستراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد بيروت- لبنان ، ط1، 2004م .

(3) أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف/ حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، 1998م .

(4) الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)، الخطيب القزويني، وضع حواشيه/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 2003م .

(5) بلاغة الإقناع في المناظرة، عبد اللطيف عادل، منشورات ضفاف، الرباط، ط1، 2013م .

(6) البلاغة العربية فنونها وأفنانها (علم المعاني)، فضل عباس حسن، دار الفرقان، ط4، 1997م .

(7) البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح/ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7، 1998م .

(8) التعبير الفني في القرآن، بكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، ط1، 1973م .

(9) الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت- لبنان، ط1، 2008م .

(10) الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، عبد الله صولة، دار الفارابي، بيروت، لبنان ط1، 2001م .

(11) الحجاج وتوجيه الخطاب (مفهومه ومجالاته وتطبيقاته في خطب

ابن نباته)، باسم خيري خضير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2019م .
(12) الخطاب والحجاج، أبو بكر العزاوي، مؤسسة الرحاب الحديثة للطباعة والنشر، ط1، 2010م .
(13) علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقييم، حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط1, 2004م .
(14) علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط3، 1993م .
(15) في علم النحو دراسة ومحاورة، أحمد ماهر البقري، مكتبة الجيزة العامة، القاهرة، ط1، 1981م .
(16) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، العمدة للطباعة والنشر، ط1، 2006م .
(17) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ضياء الدين نصر بن محمد، تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، 1939م .
(18) مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ
(19) مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، السكاكي، علق عليه/ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 1987م .

ثالثًا الدوريات :

(1) البنية الحجاجية في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجًا"، الحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب جامعة الجزائر، العدد12، أكتوبر 1997م.
(2) الخطاب الحجاجي في معلقة عنترة بن شداد، كمال فواز سليمان، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية، الأردن، 2019م .
(3) الطرائق الحجاجية النحوية في الخطابة السياسية، خالد إسماعيل، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية المجلد الخامس، العدد 1، 2015 .